

كيانها . وهنا لا بد ان نلاحظ ان زعماء حركة المقاومة في سعيهم لكسب مزيد من التأييد الشعبي توسعوا كثيرا وبشكل سريع دون التنبه الى ضرورة السبل بشكل عامودي . فقد استجابت لهم الجماهير الاردنية والمريسة التي اذهلتها قوة الصدمة ، ولكن استجابتهم لهذه القوة العربية المقاتلة تميزت بالحماسية والعاطفية على اعتبار ان الفدائيين اعدوا لها شيئا من كرامتها المسلوقة ، كما اشبعوا لديها الرغبة ، التي حرّمهم اياها زعمائهم ، من اجل التمثلة والمشاركة في الكفاح . وبالمقابل نرى ان الحكام العرب اکتفوا بالتأييد اللفظي لحركة المقاومة الفلسطينية وذلك من اجل ايهام الآخرين بانهم ، هم وشعبهم ، يشاركون في الكفاح ، وايضا من اجل استباق اية مطالبة بتعبئة حقيقية ومشاركة فعلية . ولانه لم تقدم لهم مطالب تذكر أصبحت الجماهير العربية في موقف المتفرج على صعود ابطالها ومن ثم سقوطهم بعد انتصارهم اللوقت . وكأي جمهور متفرج آخر ، اکتفت الجماهير العربية هذه بالتصفيق والابتهاج ومن ثم البكاء والحزن عند كل فصل من فصول المساة . ولكن الفصل الاخير من المساة جعل من الاردن بلدا من فريقتين رئيسيين — الفلسطينيين والبدو — تفصلهم هوة من الحقد والضغينة لا يمكن رابها ، بالاضافة الى مجموعات صغيرة مترددة . ولا يظهر بأن المعارضة الاردنية التقليدية للنظام قد تزعزت ، ولكنها خمدت ، على اعتبار ان منطق الحوادث اثبت ان الجماهير غير مؤهلة للتحرك بعد . ولكن التأييد الكاسح للفدائيين بين اهالي الضفة الشرقية ، والذي بلغ أوجه بعد حوادث ايلول ، قد انحدر الان الى ادنى مراحل ، وذلك لاسباب عدة اهمها : التراخي والكسل بعد اشهر من العنف والموت والشك دون تحقيق اية نتيجة ايجابية للشعور باليأس ، فقدان الثقة بقيادات حركة المقاومة نتيجة لفجوة الثقة بين الوعود والانجازات ونتيجة لحملة البعث والتحريض التي قامت بها السلطات الاردنية في اوائل السنة الماضية لتصوير الفلسطينيين عامة ، والفدائيين بشكل خاص ، بانهم جماعة من العصاة المتطرفين الذين لا هدف لهم سوى قلب النظام وشنق البلد وتدمير اقتصادها . وهكذا نرى ان السلطة الاردنية فرضت حظرا كاملا وداثا على نشاطات الفدائيين في الاراضي المحتلة ، وعهدت بدلا من ذلك

الى تصوير حركة المقاومة وكأن لا هم لها سوى مقارعة النظام داخل الاردن بدلا من العمل ضد العدو الاسرائيلي . وبذلك بات المواطن العادي في الاردن يتأمل في نفسه ويشغل تفكيره في اللمة جوانب حياته المضطربة على بعضها بعضا ، وفوق ذلك كله الخروج بسلام من جميع هذه المشاكل . واما بالنسبة للفلسطينيين في الاردن فانهم اصبحوا في وضع وكأن العالم قد انهار من حولهم ، وتركهم محطمين ، بائسين ، مغبين بالحقد والمرارة والخوف والتعطش للثأر ، كما ان عددا من الفلسطينيين المتحمسين الذين كان يصنفهم النظام الاردني كعناصر « طيبة » ، أي فدائيين « معتدلين » مالوا تجاه العناصر « المتطرفة » ، واصبحوا ينتقدون بعض التيارات المعتدلة ويتهمونها بقصر النظر وانها سبب الحالة الراهنة التي تعيشها حركة المقاومة في الاردن في الوقت الحاضر ، لذلك نرى انهم تبينوا وجهة النظر المقاتلة بأن الطريق الى تل ابيب تمر في عمان ، وان على حركة المقاومة ان تعمل من اجل « تحرير الاردن وتحرير فلسطين » . وهكذا ، فان « معركة التلال » ، بدلا من « تطهير حركة المقاومة من العناصر المتطرفة » التي تهدد السيادة الهاشمية ، نجحت في تطهير الحركة من كثير من العناصر « المعتدلة » ، التي اما استسلمت قرفا او ياسا ، واما انضوت تحت لواء المنظمات « الراديكالية » . فمن تحت رماد احراش جرش وعجلون ، نشهد هذه الايام مولد نوع جديد من الفدائيين : المقاتل اليائس ، Desperado . ومنذ الان نرى ان « العودة الى الحياة الطبيعية والسلام والهدوء » بدأت تتخللها انفجارات الالغام المبتوثة هنا وهناك ، والقنابل اليدوية التي تلقى على المراكز الادارية ، والعيوات الناسفة في الشاحنات الاردنية ، وعمليات اضرب واهرب ، وقصف القواعد والمواقع العسكرية بالصواريخ . لذلك ما لم يغير النظام الاردني موقفه من الفلسطينيين ومن حركة المقاومة ، فان هذه الهجمات ستزداد نوعا وكما خاصة عندما ينزل الفدائيون تحت الارض ويكيفون انفسهم مع الاستراتيجية الجديدة التي تملها الظروف عليهم . وهكذا نخلص الى القول ان العملية التي استهدفت انهاء « ازدواجية السلطة » في الاردن يمكن ان تثبت انها بداية عهد جديد من الثورة .